بسم الله الرحمن الرحيم

وصلاته وسلامه على أشرف المرسلين وآله وصحبه أجمعين

البـــراذعـــي
وتهـــذيـب المدونـــة

فضيلة الشيخ الأستاذ الشاذلي النّيفر

عصره:

عاش البراذعي صاحب التهذيب أيام قوة الصنهاجيين الذين دامت دولتهم من (362 إلى 543)، وأول من ملك من الصنهاجيين بلكين ابن زيري بن مناد[1].

ويذكر القاضي عياض في ترتيب المدارك أنّ البراذعي كان مبغضاً عند أصحابه لصحبته أسباب سلطانها[2].

وبالتقريب أنه عاصر عهد المنصور بن بلكين الصنهاجي من (373 إلى 385) وعهد باديس من (385 إلى 406)، وكان باديس من المتحمسين في دعوة العبيديين، ثم إن الدولة كانت في مبادىء أمرها فهي متمكنة من استجلاب البراذعي وأمثاله.

(1) بلكين بضم الباء الموحدة واللام، وتشديد الكاف المكسورة، وسكون الياء من تحت، وبعدها نون وزيري بكسر الزاي والراء بينهما ياء ساكنة، ترجمته في تاريخ ابن خلدون (ج 6 ص 317)

(2) ترتيب المدارك (ج 7 ص 257).

لكنها كما يظهر تريد من يساندها دون محاولة الدخول في دعوة بني عبيد، وهذا ما نراه في البراذعي حيث تمكن من المذهب المالكي وصار من المحررين فيه مع أنه متصل بالدولة، وذلك لما يصله من المنصور وابنه باديس من العطاء فانهما كانا سخيين غاية السخاء وأظن أن تأليفه في صحة نسب العبيديين لما وقر في نفسه من صحة نسبهم، وهو ما ذهب اليه ابن خلدون في تاريخه مما دعا بعض معاصريه بالحملة عليه.

الدعوة العبيدية في العهد الصنهاجي

يبدو أن الصنهاجيين لم يكن لهم الحماس الذي عند الفاطميين لأنهم أئمة المذهب الشيعي، ويشهد لهذا أمران أو بهما أن البراذعي كانت تصله صلتهم، وبالطبع أنهم على بيّنة من أمره فهم لو كانوا متشدّدين كالعبيديين لما توالت عليه صلتهم.

ثانيهما أن المعز بن باديس تربى على يد من هو من أهل السّنة الذي أثّر عليه كما أفاده المراكشي في (البيان المغرب).

(كان المعزّ بن باديس صغيراً إذ وُليّ، وهو ابن ثمانية أعوام وقيل ابن سبعة أعوام، ربي في حِجْر وزيره أبي الحسن بن أبي الرّجال، وكان ورعاً زاهداً، وكانت إفريقية كلها والقيروان على مذهب الشيعة، وعلى خلاف السّنة والجماعة من وقت تملّك عبيدالله المهدي لها فحرّض ابن أبي الرجال المعز ابن باديس وأدّبه ودلّه على مذهب مالك، وعلى السّنة والجماعة، والشيعة لا يعلمون ذلك ولا أهل القيروان)[1].

وخصه الأمير باديس بن المنصور (ـ 406) بتربية ابنه المعز بن باديس وتولى رئاسة ديوان الإنشاء على عهد باديس، فما قاله المراكشي في (البيان المغرب) من أن ابن أبي الرجال هو السّبب في رفض دعوة العبيديين معيع يشهد لعدم تحمّس الصنهاجيين للدّعوة العبيدية.

(1) البيان المغرب لابن عذارى المراكشي (ج 1 ص 273).

وكانت وفاة ابن أبي الرجال سنة (ـ 426).

ويؤكد أن العبيديين، والصنهاجيين خاصة لم تبق شدتهم على المالكية كما كانت في الأيام الأولى للعبيديين إذ خفت الوطأة بعد ثورة أبي يزيد.

أفاد عياض في ترتيب المدارك، أنّ أهـل السّنة كانوا بالقيروان أيام بني عبيد في حالة شديدة من الاهتضام والتستر، كأنهم ذمة تجري عليهم في أكثر الأيام محن شديدة[1].

وجاء في المدارك ان العبيديين أظهروا لعن الصحابة في أيام الثالث من بنيهم إسماعيل الملقب بالمنصور سنة (331).

وظهر في أثناء تلك المدة أبو يزيد مخلد بن كيداد المتظاهر بالنسك، وهو على مذهب الصفرية.

واشتدت ثورة أبي يزيد علي إسماعيل المنصور فتحصن بالمهدية وفر من القيروان، واجتمعت جموع كثيرة حول أبي يزيد وكان من ضمنهم فقهاء من القيروان منهم أبو إسحاق السبائي الذي يرى أن العبيديين ليسوا من المسلمين بخلاف الصفرية فإنهم من أهل القبلة فاختاروا الخروج معهم ومن أبرز فقهاء القيروان المنضمين إلى الصفرية أبو الفضل عباس بن محمد الممسي[2].

وقبل خروج أهل القيروان مع أبي يزيد خطب امام جامع عقبة خطبة جمعية حرّض فيها على الجهاد، فخرج أهل القيروان يوم السبت الموالي.

قال عياض:

ورزقوا النصر فلما رأى أبو يزيد ذلك لم يشك في غلبته فأشار على أصحابه بأن ينكشفوا عن علماء القيروان حتى يتمكن أعداؤهم منهم، وفعلاً

---

(1) ترتيب المدارك (ج 5 ص 303).

(2) المسمى هكذا في كل المصادر التي ترجمت له إلا في شجرة النور المميسي (ج 1 ص 83).

تم قتل علماء القيروان وهم خمسة وثمانون رجلاً من فقهاء القيروان، منهم أبو الفضل الممسي[1].

وكان مقتله في رجب من سنة (ـ 333) قرب المهدية، ولم يعثر على جثته.

ورثَى الممسي بعضهم وأولهم الشيخ أبو محمد عبدالله بـن أبي زيد القيرواني بقصيدة منها:

(الكامل)

يا ناصراً للدين قمت مسارعاً — وبذ ت نفسك مخلصاً ومريداً
وذببت عن دين الإله مجاهداً — وابتعـت بيعـاً رابحـاً محمـوداً
عهدي به بين الأسنة لم يكن — للـه عنـد لقـا العـدو كمـوداً
كـانـت حيـاتـك طـاعـة وعبـادة — فسعدت في المحيا ومت سعيداً
يـا قـرة للنـاظـريـن وعصمـة — للمسلميـن وعـدة وعـديـداً

وجاءت هذه الأبيات مع غيرها، وكذلك قصيدة الفزازي في ترتيب المدارك (ج 5 ص 38) ولكن جاء أكثر منها في رياض النفوس (ج 2 ص 300) ومع أن ما في الرياض أكثر مما في الترتيب هناك اختلاف في الاختيارين.

ولم ينل أبا محمد بن أبي زيد حسبما وقفت عليه أذى بسبب رِثائه لابي العباس الممسي، ويرجع عدم الضغط على المالكية أن ثورة أبي يزيد مخلد ابن كيـداد بيَّنت للعبيديين أن تمسك أهل إفريقية بالمذهب المالكي تمسك شديد لا يعدلون عنه.

وشأن الدعوة الضالة أنها تشتد في أول أمرها ثم تضعف شيئاً فشيئاً إلى أن تضمحل وهو ما وقع لدعوة العبيديين فإنها صارعت أهل المذهب المالكي، ونالتهم محن كثيرة حتى آل أمرها إلى الاضمحلال.

(1) ترتيب المدارك (ج 5 ص 306).

أئمـــة المـــالكيـــة:
فـــي القـــرن الرابـع

يعتبر القرن الرابع الهجري من القرون الزاخرة بعلماء المالكية في إفريقية، وزَخَر القرن الرابع بالمالكية بسبب أن القيروان في القرن الثالث أصبحت معقلاً للسنّة بسحنون عبد السّلام بن سعيد (ـ 240) علاوة على المدونة بتلاميذه الذين تركهم تزخر بهم إفريقية مثل:

ـ محمد بن سحنون الذي تولى الذبّ عن مذهب أهل المدينة، والرّد على أهل الأهواء، وبأبيه عبد السـلام وذبّه سلمت إفريقية كلها وإلى اليوم - والحمد لله ـ الشمال الإفريقي خال مما هو خارج عن مذهب أهل المدينة إلا ما لا يذكر.

ـ ومحمد بن إبراهيم بن عبدوس(ـ 260)[1] من كبار أصحاب سحنون كما في الديباج، وهو من أشبه الناس به، وكان حافظاً لمذهب مالك والروّاة من أصحابه.

وله تأليفه المجموعة مـن أمهات المذهب المالكي وقد أعجلته المنية عن تمامه.

ـ وعبدالله بن أحمد التميمي الأغلبي كان من أصحاب سحنون ألف الردّ على من خالف مذهب مالك (ـ 275).

ـ وحَمْديس القطّان وهو أحمد بن محمد (ـ 289) ممّن أخذ عن سحنون.

ـ ومن أهل سوسة زيدان بن إسماعيل الواسطي السوسي(ـ 292) أو (ـ 293).

ومنها الإمام الشهير يحيـى بن عمر الأندلسي الأصل ثم القيرواني

---

(1) في القاموس وسمّوا... عبدوساً.

وكانت وفاته بسوسة (ـ 289) له اختصار المستخرجة، وبه تفقه الكثير من الذين عاشوا في عصر بني عبيد.

والمتخرّجون عن سحنون ملأوا الدّنيا، ونشروا مذهب أهل المدينة، ومن تقدّم من مشاهير أصحابه. وأشبههم به عيسى بن مسكين (ـ 295) فإنه كان يشبهه في هيئته وسمته، واعتمد سحنونا واقتدى به فكأنه نسخة منه، وقد جمع الله ما تفرّق في غيره حتى أصبح فريد عصره وواحد دهره، وكان سيفاً مسلولاً على البدع يضاهي سحنونا في الوقوف في وجه بدعهم.

ويصور لنا سحنونا الذي جعل القيروان عاصمة غاصة بالعلماء ابن حارث حيث صور لنا هذه العاصمة المليئة برجاله وما اختص به كل واحد منهم.

قال ابن حارث: قدم (سحنون بمذهب مالك، واجتمع له مع ذلك فضل الدين، والعقل، والورع، والعفاف، والانقباض، فبارك الله فيه للمسلمين، فمالت إليه الوجوه، وأحبته القلوب، وصار زمانه كأنه مبتدأ، قد انمحى ما قبله، فكان أصحابه سُرُجَ أهل القيروان، وابن علمائها وأكثرهم تأليفاً وابن عبدوس فقيهها، وابن غافق عاقلها، وابن عمر حافظها، وجبلة زاهدها، وحَمديس أصلبهم في السّنة، وأعداهم للبدعة، وسعيد بن الحداد لسانها وفصيحها، وابن مسكين أرواهم للكتب والحديث، وأشدهم وقاراً وتصاوناً، كل هذه الصفات مقصورة على وقتهم).

لم تؤثر الدعوة العبيدية رغم أنها تعتمد على سلطانها بالعقاب، والإغراء بالوظيف والمال، فقد ازدهر القرن الرابع برجال ركزوا السنة بالمذهب المالكي، وأصبحوا من فحوله البارزين المعروفين به، وبهم أصبح المذهب محصناً مجموعاً غير مفرق.

ـ وممن أدرك أوائل القرن الرابع وناظر الشيعة أبو عثمان سعيد بن الحداد الذي كان مختصاً بسحنون وهو الذي تصدى لمناظرة أبي العباس المخطوم، وذكر ابن حارث من مجالسه في كتابه الجزء السادس طبقات

علماء إفريقية الذي ذيل به طبقات علماء إفريقية لأبي العرب (ص 199) ط. باريس، أربعة مجالس. ومجالسه الأربعة تبين كيف كان علماء السنة بالقيروان متمكنين من رد شبهات الشيعة الإسماعيلية.

وبذلك استطاع المذهب المالكي أن يقف في وجههم، وأن يحافظ المالكية على مذهبهم.

وكانت وفاة أبي سعيد عثمان بن الحداد (ـ 303 هـ) وربما تكون صحيحة وهو من المعمرين[1].

ـ ومن علماء المالكية أبو الأسود موسى بن عبد الرحمن المعروف بالقَطَّان صاحب محمد بن سحنون، وكان يحسن الكلام في الفقه على مذهب مالك وأصحابه، وألف أبو الأسود في أحكام القرآن على غرار إسماعيل القاضي البغدادي وتوفي سنة (ـ 306 هـ).

ـ وأبو جعفر أحمد بن نصر بن زياد الهواري، وعليه تفقه أكثر القرويين وهو أول من أدخل الموّازية الإفريقية، وكان في داخل بيته يجتمع إليه الناس ويدرسهم (ـ 317 هـ)، وكان من رجال القضاء.

ـ وأبو العباس إسحاق بن إبراهيم الأزدي تولى قضاء طرابلس ومات أوائل دولة العبيديين.

ـ ومحمد بن محمد بن خالد القيسي كانت تقرأ عليه كتب ابن سحنون في خفية وتوار، وتوفي سنة (ـ 317 هـ).

ـ وحفيد سحنون أبو سعيد محمد بن محمد كان على طريقة سلفه مات سنة (ـ 306 هـ).

ـ وأبو عبدالله محمد بن بسطام بن رجاء الضبي السوسي ادخل إفريقية كتب غريبة من كتب المالكيين ومات سنة (ـ 313 هـ).

---

(1) ترجم له ابن حارث في الطبقات (ص 198) والقاضي عياض في المدارك (ج 5 ص 78) وهي ترجمة مطولة.

ـ وأحمد بن أحمد بن زياد الفارسي له كتاب في أحكام القرآن توفي سنة (ـ 310 هـ).

ـ وأبو الغصن نفيس الغرابلي السوسي طلب لقضاء سوسة فامتنع وكان مستحضراً لفقه مالك وأصحابه توفي سنة (ـ 309 هـ).

ـ وأبو إسحاق بن البرذون إبراهيم بن محمد كان من نظار فقهاء المدنيين بالقيروان واشتهر بالذب عن مذهب مالك بن أنس وكان شديدا في التمسك بمذهب مالك مما أدى إلى قتله.

ـ وأبو عثمان سعدون الخولاني كان من أصحاب محمد بن سحنون وكان من المعمرين توفي سنة (ـ 324 هـ) وهو ابن (106 هـ).

ـ وأبو الفضل يوسف بن مسعود جمع الله له بين الصلاح والعلم وألف كتاباً في الأحمية وما يجب على سكان القصور توفي سنة (ـ 325 هـ).

ـ وحمدون بن مجاهد الكلبي من أصحاب عيسى بن مسكين كتب بيده دواوين كثيرة قال كتبت بيدي ثلاثة آلاف وخمس مائة كتاب. هذه عينات من علماء المالكية في الثلث الأول للقرن الرابع في أوائل دولة العبيديين، وقد ذكر الكثير منهم القاضي عياض في ترتيب المدارك وتركنا ذكرهم اكتفاء بما نقلناه ولم يخل الثلث الثاني من فحول الرجال.

وفي أولهم أبو بكر محمد بن محمد واشتهر بابن اللَّبَّاد من أصحاب يحيى بن عمر، وبه تفقه، وروى عن كثير من الأئمة وتفقه به أبو محمد بن أبي زيد وابن حارث وغيرهما.

وذكر ابن حارث الخشني أنه كان عنده حفظ كثير وجمع للكتب، وله حظ وافر من الفقه، وكان عالماً باختلاف أهل المدينة واجتماعهم، وكان من الحفاظ المعدودين والفقهاء المبرزين . وبه انتفع الإبياني التونسي.

وألف أبو بكر كتاب الطهارة، وكتاب عصمة النبيئين صلى الله عليهم أجمعين وهو كتاب إثبات الحجة في بيان العصمة، وكتاب فضائل مالك بن أنس، وكتاب الآثار والفوائد في عشرة أجزاء.

توفي ابن اللباد في سنة (ـ 333 هـ) قبل دخول أبي يزيد القيروان بخمسة أيام، ونقل في المدارك أن أهل القيروان أظهروا بسبب قرب أبي يزيد منهم عند موته الترحم على أبي بكر وعمر ولعنوا من لا يترحم على أصحاب النبيء ﷺ.

ورثي بقصيدة جاء فيها:

[البسيط]

بل كان حصناً لدين الله ينصره ويحتمي مغضباً لله أن فتننا

حتى استنار به الإسلام في بلد لولاه مات به الإيمان واندفنا

وقد أطال القاضي عياض في ترجمته في الجزء الخامس (286) ط. المغرب.

وكذلك أطال في ترجمته الدباغ وابن ناجي في معالم الإيمان (ج 3 ص 21).

وبعد ترجمة ابن اللباد ترجم القاضي عياض لأبي الفضل الممسي وتقدم لنا ذكره.

وممن قتل مع الممسي ربيع القطان، ومحمد بن علي البقال وغيرهما من أهل العلم.

وفي الثلث الثاني من المائة الرابعة آخرون منهم:

أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام، وكان جده هذا من أمراء إفريقية.

وسمع أبو العرب من جماعة من أصحاب سحنون كيحيى بن عمر وجبلة وغيرهما.

كان عالماً بالسنن والرجال من أبصر أهل وقته كثير الكتب حسن التقييد، وكتب بخطه كثيراً في الحديث والفقه، ويقال أنه كتب بيده ثلاثة آلاف كتاب وخمسمائة.

بلغت شيوخه نيفاً وعشرين ومائة.

ومن مؤلفاته طبقات علماء إفريقية، وطبقات علماء تونس، وعباد إفريقية، ومسند حديث مالك، وكتاب التاريخ في سبعة عشر جزءاً، وكتاب مناقب بني تميم، وكتاب فضائل مالك، وكتاب فضائل سحنون، وكتاب عوالي حديثه، وغير ذلك.

وله شعر متين من ذلك قوله:

[الوافر]

إذا ولى الصديق لغير عذر ... فزاد الله خلته انقطاعاً
إلى يوم التناد بلا رجوع ... فإن رام الرجوع فلا استطاعا
إذا ولى أخوك فول عنه ... وزده وراء ما ولاك باعاً
وناد وراءه يا رب تَمم ... ولا تجعل لفرقته اجتماعاً

وهو قد خرج من جملة من خرج من علماء القيروان في جمادى الأولى من سنة (333 هـ) ولم يعش بعد ذلك إلا مدة قليلة فقد توفي في أواخر ذي القعدة من السنة نفسها (ـ 333 هـ) وترجم له في المدارك (ج 5 ص 223).

وقد أفاض عياض في تراجم رجال القرن الرابع من علماء المالكية وحصرهم يحتاج إلى تأليف خاص، ونختم بالإبياني.

الإبياني:

وهو أبو العباس عبدالله بن أحمد بن إبراهيم بن إسحاق التونسي المعروف بالإبّياني[1].

(1) ضبطه عياض بكسر الهمزة، وتشديد الباء.

تفقه بيحيى بن عمر وغيره من فقهاء إفريقية يروي عنه الاصيلي، والقابسي، وابن أبي زيد، وغيرهم. وفي المدارك قال بعضهم: كان أبو العباس عالم إفريقية غير مدافع، وذكر أنه كان من شيوخ أهل العلم وحفاظ مذهب مالك. وكان يستعين به ابن أبي زيد فيما يشكل عليه، وعنده يجد بيان ما اشكل عليه.

وكان أبو الحسن القابسي يقول: ما رأيت بالمشرق، ولا بالمغرب مثل أبي العباس الإبياني.

وفي المدارك: وكان يفصل المسائل كتفصيل الجزار الحاذق للحم، وكان يحب المذاكرة في العلم، ويقول: دعونا من السماع القوا علينا المسائل.

وتعليقاً على ما تقدم يظهر أن طريقة تفصيل المسائل طريقة علماء تونس ابتدأها علي بن زياد التونسي، وجاء على غرارها الإبياني التونسي، وهي طريقة متبعة إلى عهد قريب في التدريس الزيتوني.

وحج ومرّ بمصر في عهد كافور.

وعرض عليه المنصور العبيدي القضاء فامتنع تأسياً بعلي ابن زياد التونسي شيخ العلم الجليل.

وكان له شعر منه ما ذكره عياض اجابة عن قصيدة كتب بها اليه الفضل ابن نصر التاهرتي.

وتوفي سنة اثنتين وستين وثلاثمائة، وقال المالكي سنة احدى وستين وثلاثمائة.

ومن هذه الطبقة ابن أبي زيد، والقابسي، وسنتحدث عنهما في شيوخ البراذعي.

البــراذعـــــي:

أبو القاسم خلف بن أبي القاسم الأزدي.

كنيته حسبمـا يكنيه المؤرخون أبو القاسم ووردت كنيته عند بعضهم بأبي سعيد قاله عياض[1]. وذكر الدباغ في معالم الإيمان انه في زمانه غلبت عليه كنيته بأبي سعيد من جميع شيخوخنا وأصحابنا بإفريقية والقيروان وغيرهما فإذا أريد لِنَقْلٍ عنه بكنيته يقال: وظاهر كلام أبي سعيد البراذعي يقتضي كذا[2] فعلى هذا الكنيتان مشتهرتان، وإنما تكنيته بأبي القاسم عند المتقدمين كما ذكره عياض، وتكنيته بأبي سعيد عند المتأخرين وهو ما أفاده الدباغ.

ولم يعلق على كلامه ابن ناجي، ومما يدل على أن أشتهار كنيته عند المتأخرين بأبي سعيد لا بأبي القاسم كما قال الدباغ، أن الـنسـاخ للتهذيـب يكنونه بأبي سعيد.

والأزدي نسبة إلى أزد شنوءة في اللباب لابن الأثير بفتح الألف وسكون الزاي، وكسر الدال المهملة، وهو أزد بن الغوث وساق نسبه[3].

فهو عربي النسبة، وكما يبدو ليست ولاء إذ لو كانت كذلك لنصّوا أنه أزدي بالولاء.

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض المعروف بالبراذعي، وجاء في معالم الإيمان المعروف بابن البراذعي لكن في النسخة القيروانية المعروف بالبراذعي، وهو الصواب لان صاحب ترتيب المدارك اعتمد على كتب التاريخ الإفريقية القديمة.

والبراذعي نسبة إلى جمع برذعة وهي البراذع، وكما تقال بالذال تقال

(1) ترتيب المدارك (ج 7 ص 256) ط. المغرب.
(2) معالم الأيمان (ج 3 ص 146).
(3) اللباب في تهذيب الأنساب (ج 2 ص 46).

بالدال والأصل فيها بالذال برذعة، وتقال بالدال بردعة، ولها ثلاثة معان أشار إليها ابن منظور في لسان العرب:

ـ البردعة: الحلس الذي يلقى تحت الرحل قال شمر: هي بالذال والدال وسيأتي ذكرها قريباً.

ـ ثم قال بعد ذلك البرذعة: الحلس الذي يلقى تحت الرحل والجمع البراذع وخصّ بعضهم به الحمار.

وقال شمر: هي البرذعة والبردعة بالذال والدال، وبرذع إسم، أنشد ثعلب:

[الطويل]

بعمـر أبيهـا لا تقـول حليلتـي ألا أنـه قـد خانني اليـوم بـرذع

والبرذعة من الأرض: لا جَلَدٌ ولا سَهْل والجمع: البراذع.

فهو منسوب إلى جمع البرذعة أي البراذع، وهي بكسر الذال ويبقى التردد بين كونه منسوباً إلى من يصنع البراذع، أو منسوب إلى الأراضي التي هي لا جَلَدٌ ولا سَهْل.

والقريب هو الأول لأن المتعارف في إفريقية أن البرادعي بالدّال، وهو صانع البرادع، ولا ينطقونها بالذال بل بالدال ولعل ذلك أخف على اللسان واللغة الدارجة تميل إلى ذلك.

تلقيه:

الشأن في تلقي العلوم أن يكون على أساتذة كثيرين ويذكر في ترتيب المدارك أنه من كبار أصحاب محمد بن أبي زيد، وأبي الحسن القابسي.

لم يقتصر تلقي البراذعي على ابن زيد، والقابسي بل أخذ عن الكثير كما هو الشأن في الدراسة، ولكن لم يذكر المؤرخون إلا هذين الشيخين.

فهو قد تشبع بالأخذ عن العلماء الأفارقة، وأختار منهم ذوي التقدم، وإنما خص القاضي عياض بالذكر من شيوخه ابن أبي يزيد، والقابسي لكونهما

رأس العلماء في عصره في القرن الرابع، وهما من العلماء الذين لهم تأثير على الرأي العام فبهما تجسم المذهب المالكي، وسنحاول أن نأخذ ترجمتها من هذه الوجهة.

أبو محمد عبدالله بن أبي زيد:

واسم أبيه عبد الرحمن كما قال الأمير ماكولا، والقاضي ابن الحذاء. وهو نفزي النسب سكن القيروان.

وجاء في بعض نسخ المعالم النفزاوي، وهناك في إفريقية موضعان أحدهما نفزة شمالاً وثانيهما نفزاوة جنوباً والمعروف في ترجمته النفزي كما جاء في ترتيب المدارك.

مشيختـــه:

أخذ عن الجم من شيوخ عصره، وقد عدد منهم جملة القاضي في المدارك، والدباغ في معالم الإيمان، واعتماده على ابن اللباد وهو أبو بكر محمد بن محمد بن اللباد فابن أبي زيد من أشهر تلاميذه ففي المعالم، وعليه - أي ابن اللباد - اعتماد ابن أبي زيد في الفقه، ومن شيوخه أبو الفضل الممسي، وأبو العرب، والإبياني وتقدم ذكرهم.

تـــأثيـــره:

حدثنا عن منزلته القاضي عياض الخبير بتراجم أئمة المالكية، والعارف بقيمهم لأنه من أعلام المالكية فقل أن يفوته شيء من الحقائق عن علمائهم.

فاذا ما أخذنا تعريفه لإبن أبي زيد ندرك أنه صاحب التأثير الكبير على أهل عصره فهو رجل القرن الرابع الهجري.

فقد ذكر معرفاً بمكانته من العلم:

وكان أبو محمد إملم المالكية في وقته، وقدوتَهم، وجامعَ مذهب مالك، وشارح أقواله، وكان واسع العلم، كثير الحفظ والرواية، كتبه تشهد بذلك، فصيح القلم، ذا بيان ومعرفة بما يقوله، ذاباً عن مذهب مالك، قائماً

بالحجة عليه، بصيراً بالرد على أهل الأهواء، يقول الشعر ويجيده، ويجمع إلى ذلك صلاحاً تاماً وورعاً وعفة.

وحاز رئاسة الدين والدنيا، وإليه كانت الرحلة من الأقطار. ونجب أصحابه، وكثر الآخذون عنه. وهو الذي لخص المذهب وضمّ نشره، وذبّ عنه وملأت البلاد تواليفه، عارض كثير من الناس أكثرها فلم يبلغوا مداه مع فضل السبق، وصعوبة المبدأ، وعرف قدره الأكابر[1].

نأخذ من تعريف القاضي عياض أنه في إجادته في استخراج المسائل وابتداعه في دروسه، وتآليفه أخرج المذهب المالكي في صورة جعلت المذهب ماثلاً سهلاً لا تشتت فيه.

فحينئذ أثر ابن أبي زيد على المالكية من ناحيتين أولاهما ناحية تلاميذه فأصبح بهم قدوة ومنهم.

أبو سعيد خلف المعروف بالبراذعي، فالبراذعي من أكبر من تفقه عنده من جلة أصحابه القيروانيين.

فالبراذعي حسنة من حسنات ابن أبي زيد القيرواني فكل من ترجم لابن أبي زيد القيرواني يذكر في صدر تلاميذه البراذعي.

وتعداد تلاميذه يطول فهم جملة كثيرة من الإفريقيين ومن أهل المغرب، ومن الأندلس.

والناحية الثانية هي ناحية تآليفه، وقد عرَّف بهذه التآليف كل من ترجم له لأنها تآليف غزيرة الفائدة عائدة بالنفع على المنتفع بها، تكاد تكون كلها حول المذهب المالكي. وأشهر كتبه الرسالة، وكان تأليفه لها بإشارة من محرز ابن خلف المتوفى سنة (ـ 413 هـ)، وبالرسالة غُرس المذهب المالكي في نفوس الأطفال.

فقد طُبعت الأجيال على مذهب أهل السنة إذ مبناها على الأحاديث النبوية، ألفها وسنه سبع عشرة سنة.

---

(1) ترتيب المدارك (ج 6 ص 215).

والنوادر والزيادات على المدونة وهو كتاب مشهور في أجزاء عديدة. ومختصر المدونة وهو من كتبه المشهورة، وعلى هذا الكتاب والذي قبله التعويل في التفقه بالمغرب، ومختصره هو الذي ضاهاه البراذعي.

وفاتـــه:

توفاه الله عن سن حافلة بالأعمال الجليلة سنة (ـ 386 هـ).
وميلاده في حدود سنة (310 هـ).

ابن القابسي:

أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري المعروف بابن القابسي سمع من رجال إفريقية وخاصة الإبياني، ورحل فحج وسمع في رحلته الكثير، وكان كفيفاً.

وجمع بين الحديث والفقه، فقد كان واسع الرواية، عالماً بالحديث ورجاله وعلله، وفقيهاً أصولياً متكلماً.

وقد أجاد في تآليفه كما ذكر ذلك الذين وقفوا عليها لتحريه ودقته فيما يصدره، ومن تحريه لما استفتاه الناس اغلق باب داره، فقال أبو القاسم بن شبلون اكسروا عليه بابه لأنه قد وجب عليه فرض الفتيا أي وجوباً عينياً، ولما خرج إليهم أنشد: [الوافر]

لعمـر أبيـك مـا نسـب المعلي   إلـى كـرم وفـي الـدنيـا كـريـم
ولكـــن البـــلاد اذا اقشعـــرت   وصـــوّح نبتهـــا رعـــي الهشيـــم

واشتهر من تآليفه كتابان طبعا أولهما: كتابه الملخص، ويجوز أن يكون بصيغة اسم الفاعل أي أنه الملخّص للأحاديث المسندة في الموطأ، أو أن الأحاديث التي فيه ملخصة من الموطأ فهو بصيغة اسم المفعول.

ذكر ذلك القاضي عياض في كتابه الغنية في تراجم شيوخه وثانيهما الرسالة المفصّلة لأحوال المتعلمين، وأحكام المعلمين والمتعلمين، وهي من أهم الكتب في التربية.

وفاته: أدركته المنية سنة (403 هـ)، ودفن بباب تونس وقد بلغ الثمانين أو نحوها بيسير.

وترجمته مفصلة في ترتيب المدارك (ج 7 ص 92) ومعالم الإيمان (ج 3 ص 134).

تأثر البراذعي بابن أبي زيد:

تخرج البراذعي بشيخيه المتقدمين ابن أبي زيد، وابن القابسي هذا ما يذكره كل مترجميه لكن اذا نظرنا للبراذعي بعدما تقدم من اختصاص كل واحد منهما نرى أن اثر ابن أبي زيد هو الذي يظهر في حياته.

إذ أنه اختص بخدمة المدونة وخدمة ما يتصل بالامام مالك من حيث تحرير الفقه المالكي، فإن المذهب المالكي كان قبل شيخه محتاجاً إلى لمّة حتى يستطيع الفقيه أن يجد حاجته من الفقه على طرف الثمام.

وهناك ناحيتان أخريان في شيخه ابن أبي زيد لا نراهما فيه الأولى الذب عن مذهب مالك، فليس في كتب البراذعي ما يدل على ذلك ولعله في دروسه كان يكتفي بتقرير المذهب للطلبة دون التعرض لترجيح مذهب مالك مثل ما نراه في القاضي عياض في ترتيب المدارك.

والثانية عدم رده على أهل البدع إذ لم نظفر بأية اشارة إلى موقف له كموقف شيخه فلعله تحاشى ذلك ليظفر بودّ أهل القيروان.

أما خدمة المذهب المالكي فانها ديدنه، وكما الف في تقريبه كذلك كان تدريسه له فقد نقل لنا التاريخ أنه كان يجلس للطلبة لرواية من يريد الرواية لبعض كتبه الفقهية.

فهو من المعتنين بالفقه المالكي ومن رجاله لولا ظروف خاصة.

أما تأثره بشيخه ابن القابسي فلا أثر له اذ لم ينقل الينا أنه ألف في الحديث، وهذه الناحية خاصة بابن القابسي حتى أصبح من رجالها فقد كان كما قدمنا واسع الرواية، عالماً بالحديث ورجاله، وعلله، وهذه صفة

المبرزين في الحديث ولم تظهر في كثير من علماء إفريقية، فالبراذعي جاء على غرار هؤلاء المنصرفين عن ناحيته، بخلاف علماء المشرق سواء من العرب أو الأعاجم لهم عناية بالرواية.

ولم نقصد أن الأفارقة أعرضوا عن الحديث فحاشا لله أن يكونوا كذلك إذ هم لهم عناية بنص الأحاديث، فهذه رسالة الشيخ ابن أبي زيد القيرواني مليئة بالحديث، لكن دون اعتماد بالسند. فالبراذعي لم يخرج عن هذا الغرار، وإنما لم يعتن بالسند إذ لم يظهر ذلك فيما خلفه.

ثم أن اتصاله بابن أبي زيد لم يقتصر على الدراسة عليه بل له اتصال به دائم حتى حين كان يؤلف، فإنه لما ألف مختصره عرضه عليه ليجيز قراءته فلم ير صلاحيته كما جاء في معالم الإيمان فيما نقله ابن ناجي في إضافته على كلام الدباغ:

وسمعت شيخنا أبا الفضل البُرزلي ينقل غير ما مرة أن البراذعي لما ألف اختصاره للمدونة أتى به إلى الشيخ أبي محمد بن أبي زيد فأمر بحرقه، أو محوه لما تقدم من أحواله فمشى أبو سعيد وعاوده، وأتى به إليه وأنشده:

[البسيط]

خذ العلوم ولا تعبأ بناقلها ... واقصد بذلك وجه الخالق الباري
أصل الرواية كالأشجار مثمرة ... اجن الثمار وخل العود للنار

فتركه أبو محمد ولم يعرض له[1].

أسباب بغض البراذعي:

ذكر عياض في ترتيب المدارك كان مبغضاً من أصحابه لصحبته أسباب سلطانها الذين تبرءوا هم منهم، فكان مرفوض القول لديهم، ثقيل المكان عليهم.

وذكروا لبغضهم أسباباً منها صحبته للسلطان من الشيعة كما تقدم عن عياض لأن الأفارقة فرض عليهم سلطان الشيعة بأبي عبيد المهدي، ولذلك

(1) معالم الأيمان (ج 3 ص 150).

أسس المهدية ليبتعد عن الشعب المحكوم الذي هو غير راض بسلطانه، فمن تقرب إليه نبذ من أصحابه وأيد هذا الشيخ ابن ناجي في تكملته للمعالم، وقد ذكر ما جاء في ترتيب المدارك.

والذي مكن تغيرهم عليه أنه وجد بخطه في ذكر بعض بني عبيد وأسبابهم تَمَثُّله في تقريظهم بهذا البيت المشهور:

[الطويل]

أولئك قوم إن بنوا أحسنو البنا وإن وعدوا أوفوا، وان عقدوا شدوا

ذكر المرحوم الشيخ محمد ماضور أنه للمتنبي ولكني لم أظفر به في ديوانه.

ومن الأسباب التي دعت إلى بغضه أنه ألف كتاباً في تصحيح نسب بني عبيد، وسيأتي لنا بسط هذا.

ومنها أنه لحقه دعاء الشيخ ابي محمد رحمه الله تعالى إذ كان البراذعي أيام دراسته عنده لا يزال يتسبب في الاعتراض عليه والتنبيه على أوهامه والازدراء ببعض كلامه، فعز ذلك على الشيخ، وتفرغ عند خروجه إلى الدعاء عليه فكانوا يرون أن ذلك لحقه، فلفظته القيروان فلم يستقر بها.

وحذر ابن ناجي من تغيير صدور الشيوخ بسبب الإساءة من تلاميذهم مثل ما وقع لأبي عبدالله محمد بن أبي الفرج المازري المعروف بالذكي مع شيخه أبي القاسم السيوري حتى أدى به الحال إلى الهجرة من القيروان.

وأيد هذا ابن ناجي أن ما ذكره عياض من كونه كان مبغضاً إلى آخره نحو ما أخبرني به شيخنا الفقيه الشهير أبو عبدالله ابن الحُبَاب أنه رأى بخط الكاتب الأديب أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد العنسي، وهو صاحب المُغرب في حلى أدباء المغرب المتوفى سنة (ـ 685 هـ) بتونس ـ أن أبا سعيد البراذعي كان غير مسالم في حاله، وأنه كان يعلم ذلك من الناس فكان ينشد من يأتيه من الطلبة البيت المشهور:

[البسيط]

فخذ بعلمي ولا تنظر إلى عملي كُل الثمار وخل العود للنار

حياتــه الخاصــة :

يتلخص مما ذكره مؤرخوه أن البراذعي لم يكن في عيشه مثل علماء عصره بالقيروان فان عامتهم تمثل فيهم الزهد والتحري في عيشهم، والورع والابتعاد عن كل ما فيه شبهة آخذين بأسباب الكفاف فتراجمهم لم تخل من ذلك لو أخذنا واحداً منهم وهو ابن أبي زيد لوجدنا مترجميه يقولون فيه:

ويجمع إلى ذلك صلاحاً تاماً وزهداً وعفة، وكان أبو محمد من أهل الصلاح والورع والفضل.

بينما نجد البراذعي حين يصف معيشته يقول لشيخه أبي الحسن القابسي كما جاء في ترجمته:

وذُكر أن أبا الحسن سأل أصحابه يوماً في رمضان مما كان افطارهم عليه ليلة يومهم فأخبره كل واحد منهم بما كان على قدر وسعه، فقال أبو القاسم البراذعي: أفطرت على ثريدة خروف بأطراف سلق وحمص، وبعد ذلك إسفنجة، فقال له أبو الحسن: لا صلحت أبداً ما أُجمع هذا من حلال قط[1].

يتضح من هذا أنه كان يميل إلى الرفاهية، وتبعاً لذلك أنّه كان في ملبسه أنيقاً يلبس الفاخر من الثياب، وللحصول على ذلك سعى لأن تصله من السلطان الأموال فاتصل به واستفاد منه. لكن لم يظهر له شيء يقدح في عمله للمذهب المالكي لأنه لو وجد له شيء من ذلك لوقع الاطلاع عليه إذ الدولة الفاطمية تَغَيَّر سلوكها بعد ثورة أبي يزيد مخلد بن كَيْدَاد، فالمنصور الذي قضى على الثورة ضاق الأمرَّيْن إذ كانت جيوش مخلد بن كيداد تحاصر المهدية لولا حصانتها، ولولا المدد الخارجي لسقطت المهدية فمحاربة المذهب المالكي التي قام بها مؤسس الدولة عبيدالله المهدي فترت بدليل أن المنصور ولى قاضياً مالكياً تقرباً للشعب المتمسك بالمذهب المالكي.

---

(1) ترتيب المدارك (ج 7 ص 99).

وتعلق البراذعي بالاستفادة من السلطان لم ينقطع حتى أنه لما استقر بصقلية اتصل بأميرها واستفاد منه كما جاء في ترتيب المدارك:

فلفظته القيرون فخرج إلى صِقِلّية، وقصد أميرها، فحصلت له عنده مكانة[1].

إن حياة البراذعي في القيروان بسبب إجماع العلماء على نبذه والتنفير منه اضطرته لأن يبارحها عن إكراه، فوجدوه في صقلية لولا المكانة التي وجدها عند أميرها لضاقت به الدنيا كلها، وبهذا يظهر بأن ما عليه علماء القيروان من البغض للعبيديين والصنهاجيين شديد حتى أن كل من اتصل بهم نبذوه نبذ النواة.

نسـب بنـي عبيـد:

خاض في نفيه عن علي بن أبي طالب الكثير، وذهب إلى إثباته البعض، وذكر ابن عذاري المراكشي في كتابه (البيان المغرب، في تاريخ إفريقية والمغرب) الاختلاف في نسبه، وهو يميل إلى أنه دعي في نسبه، ونصّه:

(واختلف في نسبه: فادعى هو أنه عبيدالله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر ابن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وهو مذهب الحكم المستنصر بالله الأموي. وقال سائر الناس إنه دعيّ، وإن انتسابه للطالبين دعوة باطلة، وذكروا عن أبي القاسم بن طباطبا العلوي أنه قال: (والله الذي لا إله إلا هو ما عبيد الله الشيعي منا ولا بيننا وبينه نسب) وقال مقاتل: هو عبيدالله بن محمد بن عبد الرحمن البصري. وقد فضح القاضي أبو بكر ابن الطيب الباقلاني نسبه في (كتاب كشف الأسرار، وهتك الأستار)، وذكر أنهم قرامطة، وأن أبا عبدالله الشيعي أحدث لهم هذا المذهب، ونسبهم هذا النسب. وحكى بعض المؤرخين أن جعفر بن علي كانت له جارية، فغشيها رجل من القرامطة، وقيل من اليهود، دفعت له مالاً،

(1) ترتيب المدارك (ج 7 ص 258).

فكان يهواها وتهواه، وقتلت جعفراً مولاها، فولدت جدّ عبيدالله هذا، فمن خفيت عليه هذه القصة قال إنه علوي، ومن علمها علم دعوته وكذبه. والله أعلم!

حكى ابن عذاري الاختلاف في نسبهم عن المؤرخ ابن القطان[1]. والذي نُسب إلى البراذعي جاء من بعده ابن خلدون في تاريخه فحقق نسبهم ونفى كل ما كتب حول ذلك بما ذكره.

وأولهم عبيدالله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر الصادق بن محمد المكتوم، ولا عبرة بمن أنكر هذا النسب من أهل القيروان وغيرهم وبالمحضر الذي ثبت ببغداد أيام القادر بالطعن في نسبهم، وشهد فيه أعلام الأئمة. وقد مرّ ذكرهم فان كتاب المعتضد إلى ابن الأغلب بالقيروان، وابن مدرار بسجلماسة، يغريهم بالقبض عليه لما سار إلى المغرب شاهد بصحة نسبهم. وشعْر الشريف الرضيّ مسجل بذلك. والذين شهدوا في المحضر فشهادتهم على السماع، وهي ما علمت. وقد كان نسبهم ببغداد منكراً عند أعدائهم شيعة بني العباس منذ مائة سنة فتلوّن الناس بمذهب أهل الدولة.

تــآليفـــه:

1 ـ إختصار الواضحة لابن حبيب الأندلسي أبي مروان من أكبر علماء المالكية بمنزلة يحيى بن يحيى، وكان ابن حبيب ذاباً عن مذهب مالك، والواضحة من أهم كتبه توفي سنة (239 هـ) وإختصار الواضحة للبراذعي غير موجود.

2 ـ التمهيد لمسائل المدونة على صفة اختصار أبي محمد بن أبي زيد وزياداته، وجاء في الديباج: ولقد ذكر لي من كاشفته من فقهائها ان البراذعي لما تمم كتاب التمهيد جاء بعض الطلبة ليسمعه عليه فلما تم الصدر بالقراءة أغلق كتابه، فقال البراذعي اقـرأ، فقال قد سمعته على أبي محمد وهل زدت

(1) البيان المغرب (ج 1 ص 158).

في المختصر أكثر من الصدر[1].

3 ـ تهذيب المدونة وسيأتي تفصيل ما يتعلق به.

4 ـ كتاب الشرح والتمامات لمسائل المدونة، أدخل فيه كلام شيوخها المتأخرين على المسائل.

وأضاف المرحوم محمد محفوظ كتاباً خامساً له، وهو تصحيح نسب بني عبيد وهو كتاب لم تثبت نسبته إليه ويدل لهذا كلام عياض عليه في ترتيب المدارك:

ويقال: إن الذي مكن تغييرهم عليه....، ويقال بل سببه أنه الف كتاباً في تصحيح نسب بني عبيد[2].

والذي يقتضيه التحقيق أن نسبة الكتاب إليه لم تكن ثابتة وإنما ذلك مما قيل، فكلام عياض يقتضي تضعيف ما نسب إليه ويؤيد هذا ان الكتاب في تصحيح نسب العبيديين، وهو لم يكن في عصرهم حين كانوا بإفريقية، وإنما هو في عصر الصنهاجيين وهم لا يهمهم هذا التصحيح.

ولعل ما ذكر مما أدى إلى بغض العلماء له تلفيق بعض الكاتبيـن أو من الذين أرادوا التشنيع عليه لأنه لو ألف ذلك لم يُظهر ما كتبه، بل يُخفيه عن الأنظار، بدليل أن كتابه الباقي قد اطلع عليه العلماء، ولا نشتم فيه رائحة التشيع.

وإنما اتصاله بالسلطان، وقبول هداياه جر إليه التشنيع بصور غير ثابتة عليه.

ثم أن تمسكه الشديد بالمذهب المالكي يمنعه من الدخول فيما هو بعيد عنه أشد البعد.

وعلى كل حال الله أعلم.

---

(1) الديباج المذهب.

(2) ترتيب المدارك (ج 7 ص 258).

تهـذيـب المـدونـة:

اقترن إسم البراذعي بتهذيب المدونة أم التآليف المالكية فأشتهر هذا التأليف باسم تهذيب البراذعي وهو أشهر ما كتبه البراذعي من مؤلفات في المذهب المالكي، وأبى الله أن المدونة اقترنت باسم سحنون إمام المالكية القيرواني، كذا أشتهر تهذيبها للبراذعي القيرواني فكل منهما من القيروان وكل من ترجم له يبتدىء باسم تأليفه هذا التهذيب، فالقاضي عياض في ترتيب المدارك يذكر أن له كتاب التهذيب في اختصار المدونة اتبع فيه طريقة إختصار أبي محمد إلا أنه جاء به على نسق المدونة، وحذف ما زاده أبو محمد، وهو في مهيع أبي محمد إلا أنه على أسلوب آخر.

ثم يقول وقد ظهرت بركة هذا الكتاب على طلبة الفقه، وتيمنوا بدرسه وحفظه، وعليه معوّل أكثرهم بالمغرب والأندلس.

يفيد كلام عياض أنه قصّر الشقة عل‍ى طلبة الفقه فتوجهت عنايتهم إليه بالدرس والحفظ لأن المدونة بتهذيبه صار طالب الفقه الذي يعسر عليه ضبط مسائلها متمكناً منها.

وقد كان عصري البراذعي محرز بن خلف أدرك أن المدونة صعبة على طلبة الفقه، فهمّ بتقريبها كما جاء في مناقبه ولكنه لم يقم بذلك.

فالبراذعي حقق رغبة طلبة الفقه وأساتذة الفقه فالأساتذة بتدريسه والطلبة بحفظه.

ويؤكد لنا عياض أن أبا محمد عبد الحق ألف عليه جزءاً فيما وَهَم فيه على المدونة ثم يذكر القاضي وأنا أقول إن البراذعي بنجوة من انتقاد عبد الحق، فإن جميع ما انتقد عليه لفظ أبي محمد رحمه الله[1].

فهم من كلام القاضي عياض ابن ناجي أن القاضي عياضاً يريد أن انتقاد عبد الحق لا يتوجه على البراذعي بل يتوجه على أبي محمد.

---

(1) ترتيب المدارك (ج 7 ص 257).

ويذكر ابن ناجي في تكملته لمعالم الإيمان ما نصه:

وقول القاضي عياض إن البراذعي ينجوة عن انتقاد عبد الحق فإن جميع ما انتقد عليه لفظ ابي محمد.

قلت ـ أي ابن ناجي ورده ـ أي كلام عياض ـ ابن عبد السلام بما كتبه على ظهر تهذيبه إثر كلام عياض هذا بأنه لا ينجي البراذعي كون غيره سبقه إلى اختيار ما إختار فكل من رضي قولاً توجه عليه ما يُعترض به على ذلك القول، لأن التصويب والتخطئة إنما هما على ذلك القول من حيث هو قول، وكل من رضي عمل قوم فهو منهم والمرء مع من أحب وألف عقيل بن أبي طالب كتاباً سماه (بموازنات الأعمال) ضمنه الرد على كتاب الحميدي (قال) وهو رد على ابن حزم لأنه أقر بصوابه.

قال شيخنا أبو عبدالله محمد بن عرفة وهذا كما قال ابن عبد السلام لا سيما إذا أقام الثاني نفسه مقام المنشىء المستقل كما فعل أبو سعيد، لأنه ذكر في خطبته أنه منشىء مستقل لا تابع لغيره يعني به قوله:

وصححت ذلك على روايتي عن أبي بكر بن أبي عقبة عن جبلة عن سحنون قال: وأبو الحسن بن القطان حافظ المغرب ألف كتاباً سماه الوهم والإيهام تعقب فيه الأحكام الكبرى لعبد الحق الاشبيلي فمما تعقب عليه أحاديث أوردها عبد الحق على أنها متصلة وهي منقطعة فتعقب منها أحاديث ذكرها عبد الحق من صحيح مسلم فلم يجعل الناس اتباعه فيها لمسلم مخرجاً له من التعقيب.

وفي ظني أن القاضي عياضاً لم يرد ما ذهب إليه ابن ناجي من كون الانتقاد على أبي محمد لا على البراذعي، بل أراد أن الانتقاد منفي لأن ما فهمه البراذعي فهمه أبو محمد وكلاهما ليس على وهم إذ لا يجتمعان على الخطأ.

وما جاء في ترتيب المدارك اعتمده كل من ألف في التراجم مثل الدباغ في المعالم، وابن فرحون في الديباج.

لكن جاء في معالم الإيمان من تكملة ابن ناجي ما يفيد أنه مستقل في تهذيبه حيث يقول: (قلت) أي ابن ناجي ما ذكر من كونه تبعه ـ أي أبا محمد ـ غير صحيح وكثيراً ما يختصر خلاف ما في مختصر أبي محمد مما هو معروف، وإنما هو مبين لاختصاره، ألا ترى إلى قوله وصححتها على أبي بكر بن أبي عقبة عن جبلة بن حمود عن سحنون[1].

تعقيب ابن ناجي على كلام عياض الذي نقله الدباغ كلام عارف بمختصر البراذعي لأنه شرحه بشرحين الصيفي والشتوي ثم أنه وقف على مختصر أبي محمد بن أبي زيد.

موقف العلماء من التهذيب:

إزاء التهذيب موقف أبي محمد بن أبي زيد الذي أحرقه أو محاه كما تقدم ثم لم يتعرض له.

أما موقف العلماء فأنهم افتوا بترك كتبه جاء في المدارك أن فقهاء القيروان افتوا برفض كتبه وترك قراءتها لتهمته لديهم، وسهل بعضهم في اختصاره المدونة وحده لشهرة مسائله[2]. فهو امام التهذيب وقع لهم استثناؤهم له لشهرة مسائله.

التعويل على تهذيب المدونة:

يذكر القاضي عياض: أنه ظهرت بركة هذا الكتاب على طلبة الفقه وتيمنوا بدرسه وحفظه، وعليه معوّل أكثرهم بالمغرب والأندلس ونقل كلام عياض ابن ناجي وعلق عليه بقوله: (قلت) يعني في زمانه، وأما في زماننا فما المعوّل إلا عليه، ومن ينظر مدونة سحنون الذي هو اختصارها يعلم فضيلة البراذعي في اختصارها[3] هذا التعريف من ابن ناجي بفضيلة التهذيب

---

(1) معالم الأيمان (ج 3 ص 147).
(2) ترتيب المدارك (ج 7 ص 257).
(3) معالم الأيمان (ج 3 ص 147).

للمدونة على الأصل ـ أي المدونة تعريف خرّيتٍ بالكتابين الأصل والتهذيب لأنه اعتنى بهما، فَشرحُه للتهذيب عرفه بهما فظهر له الفرق بين الكتابين وما ذكره القاضي عياض نقله ابن فرحون بدون تعليق مما يؤيد اشتهاره شرقاً وغرباً، وأما ابن ناجي فانه زاد على كلام القاضي عياض بأن التعويل في زمانه صار عليه خاصة كما تقدم.

ثم أن ما ذكره الحَجَوي في الفكر السامي في ترجمة البراذعي وهي ترجمة مختصرة من تراجمه جاء فيها ما هو محل نظر: وقد حصل عليه الإقبال شرقاً وغرباً دراسة وشرحاً وتعليقاً واختصاراً من أئمة المالكية بالأندلس والمغرب، وتركوا به المدونة ومختصراتِها، وتشغّل دوراً مهماً قبل ظهور (مختصر ابن الحاجب) أن قوله تشغل دوراً مهماً قبل ظهور مختصر ابن الحاجب[1] الفرعي يفيد ان اشتهاره لم يبق بعد ظهور مختصر ابن الحاجب مع أن الواقع بخلاف ذلك إذ بقي اشتهاره بعد مدة طويلة فان ابن ناجي من رجال القرن التاسع الذي توفي سنة (ـ 838) بالقيروان وقبله أبو مهدي عيسى من أصحاب ابن عرفة وهو من أوائل رجال القرن التاسع.

فالعناية بتهذيب البراذعي لم تَفْتر إلا في القرن العاشر وهو الذي ضعف فيه العلم، وهو أول قرون التأخر.

وإلى العناية به في القرن التاسع الهجري يقول ابن ناجي: كما قدمنا وأما في زماننا فما المعول إلا عليه، وابن الحاجب صاحب المختصر توفي سنة (ـ 646)، لكن لا نكران أن المختصر الفرعي لابن الحاجب زاحم تهذيب البراذعي فان من شراحه التونسيين من رجال العاصمة ابن راشد القفصي وحين ترجم له الزركشي في تاريخ الدولتين: في وفيات سنة ست وثلاثين وسبعمائة يقول: توفي الشيخ الفقيه الحافظ أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن راشد القفصي شارح ابن الحاجب، وابن راشد قد عرف بمختصر ابن الحاجب في إفريقية، وشرحه هذا سماه الشهاب الثاقب، في شرح ابن

(1) الفكر السامي (ج 2 ص 209) ط. الثانية.

الحاجب، وجاء بعده من علماء تونس ابن عبد السلام (ـ 749) وشَرْحُه علا صيته وأقبلت الناس عليه، وكذلك شرحه عصريه ابن هرون.

طريقة البراذعي في التهذيب:

قدم البراذعي في أوائل تهذيبه مقدمة ذكر فيها ما يتعلق بتهذيبه:

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه

قال الشيخ الفقيه أبو سعيد خلف بن أبي القاسم الأزدي:

الحمد لله القديم الأزلية، الدائم الألوهية، على ما خص وعم من نعمه حمدا يؤدي شكره، ويوجب مزيده وصلى الله على محمد خاتم أنبيائه ورسله.

هذا كتاب قصدت فيه إلى تهذيب مسائل المدونة والمختلطة خاصة دون غيرها إذ هي أشرف ما ألف في الفقه من الدواوين، واعتمدت فيها على الايجاز والاختصار، دون البسط والانتشار، ليكون ذلك أدعى لنشاط الدارس، وأسرع لفهمه وعدة لتذكرته، وجعلت مسائلها على الولاء حسبما هي في الأمهات، إلا شيئاً يسيرا ربما قدمته أو أخرته، واستقصيت كل كتاب فيه خلا ما تكرر من مسائله أو ذكر منها في غيره فاني تركته مع الرسوم وكثير من الآثار كراهية التطويل.

وصححت ذلك عن روايتي عن أبي بكر بن أبي عقبة عن جبلة بن حمود عن سحنون بن سعيد رحمه الله، وكان الفراغ من تأليفه سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة، وإلى الله تعالى أرغب في لزوم طاعتـه، وشكر نعمته وصلى الله على محمد نبيه وآله وسلم تسليما.

لماذا اختار المدونة والمختلطة:

عرف البراذعي بطريقته في تهذيبه، وهي مميزاته في كتابه وأول هذه المميزات الإيجاز والاختصار وسنذكر من بعد عينة وإنما صنع ذلك لأنه ادعى لنشاط الدارس وأسرع لفهمه وعدّة للتذكير ولذلك عني بتدريسه وحفظه كما قال القاضي عياض، ويلي ذلك أن مسائل المدونة موزعة غير مرتبة، فجعلها على الولاء بحسب اتصال بعضها ببعض، وتصرَّف البراذعي في ترتيب المسائل فربما قدم ما هو مؤخر في الأصل، وربما أخر ما هو مقدم فيه، ومع ذلك استقصى مسائل كل كتاب إلا ما تكرر في المدونة فانه لا يكرره.

كما ترك الآثار كراهية للتطويل.

فهو قد نظم مسائل المدونة واستقصى في كل كتاب مسائله، وذلك يعين على تعرف المسائل بسهولة دون أن يضيع الباحث في التعرف على بغيته، وهذا من محاسن التهذيب الداعي لاختياره فهو لم يكن مختصراً فقط بل كان مختصراً ومهذباً.

واقتصر على مسائل المدونة والمختلطة دون أن يضيف إلى تهذيبه شيئاً آخر زيادة على مسائل الأم التي هي الأصل.

ثم أنه اعتنى بتصحيحها وروايتها فذكر أنه روى المدونة عن أبي بكر بن أبي عقبة، عن جَبَلَة بن حَمُّود، عن سحنون بن سعيد وجبلة بن حمود الراوي عن سحنون ترجم له الخشني فيما ذيل به عن طبقات أبي العرب وترجم له في المدارك، وترجمته للخشني (ج 4 ص 143) وذكر أنه من رجال سحنون، وكان من أهل الخير البيّن والعبادة الظاهرة وأطال في ترجمته في المدارك وذكرها الاستاذ الطالبي في تراجم أغلبيـة من المدارك، وذكر عياض وفاته سنة (ـ 289)، وهي في (ص 278).

وأما أبو بكر بن أبي عقبة الذي أخذ عنه البراذعي هو أبو بكر هبة الله بن

أبي عقبة ترجم له في المعالم، وذكر أن الناس أخذوا عنه المدونة والمختلطة، والموطأ، هذا ما ذكره الدباغ، وذيل عليه ابن ناجي بقوله: قلت كان من أهل العلم والتقوى ثقة صحيح الكتب، ثم قال: العجب من عياض كيف غفل عن هذا الشيخ وأمثاله كالشيخ أبي القاسم بن شبلون وعبدالله بن هاشم، ووالده هاشم.

وأبو بكر بن أبي عقبة لم يعرفه البرزلي لأن القاضي عياضاً لم يذكره فذكـر ابن ناجي للبرزلي ترجمته، وقد أثبتها في المعالم وذكر ابن ناجي أن ابن أبي عقبة توفي ليلة الجمعة الثامن عشر من المحرم سنة تسع وستين وثلاثمائة (ـ 369)... وهو ابن ست وثمانين سنة.

وتصحيح البراذعي للمدونة والمختلطة بروايته عمن هو صحيح الثبت وهو ابن أبي عقبة وكذا جبلة ثقة في المدونة التي رواها عن صاحبها.

عيّنة من التهذيب:

نتقل أولاً فقرة من المدونة الكبرى لسحنون من الطبعة الأولى ونذكر بعدها التهذيب.

التوقيت في الوضوء:

قلت لعبد الرحمن ابن القاسم: أرأيت الوضوء أكان مالك يوقت فيه واحدة أو اثنتين أو ثلاثا.

قال: لا إلا ما أسبغ، ولم يكن مالك يوقت وقد اختلفت الآثار في التوقيت.

قال ابن القاسم: لم يكن مالك يوقت في الوضوء مرة ولا مرتين ولا ثلاثاً، وإنما قال الله تبارك وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق﴾، ولم يكن يوقّت واحدة من ثلاث.
قال ابن القاسم: وما رأيت عند مالك في الغسل والوضوء يتوضأ ويغتسل، ويسبغهما جميعاً.

واختصر هذا كلّه البراذعي فقال:

كتـــاب الطهـــارة:

قال ابن القاسم: لم يوقت[1] مالك ورحمه الله في الوضوء والغسل واحدة ولا اثنتين ولا ثلاثاً إلا ما أسبغ، وقد اختلفت الآثار في التوقيت في الوضوء.

نرى بين هذين النّصين أن البراذعي يقتصر على روح المسألة بدون إخلال بمعناها، ونرى أن ما ذكره في المقدمة هو ما صنعه في هذا الاختصار، فهو اختصار دقيق مع المحافظة على لفظ المدونة الكبرى.

ولهذا اعتنى العلماء به وشرحوه وتركوا الأصل واختصار غيره كما قدمنا.

نســخ التهـذيـب:

تحتفظ مكتبتي الخاصة بنسخة عتيقة صحيحة مطـررة بطـرر كثيرة، وأظنها حسب خطها أنها من القرن الثامن فلعلها أقدم نسخة من التهذيب، وهناك عليها من خط بعض المالكين جاء فيه حجة الحرام(1038).

وعددها في المخطوطات (486).

وتوجد في دار الكتب الوطنية نسخ أربع ثلاثة كاملة والرابعة الجزء الأول فقط.

(1): 5947 ـ (2): 5944 ـ (3): 6942 ـ (4): 9189.

ويوجد في باريس أربع نسخ وهناك نسخ متعددة من التهذيب ذكر منها بروكلمان نسختين في باريس، وكذلك ما في القرويين وهناك تفصيلات دقيقة جاءت في تعليق الأستاذين محمد العروسي المطوي والبشير البكوش في تعداد:

---

(1) جاء في نسختي المليئة بالطرر، طرة على قوله لم يوقت لم يقدر.

- ما في العبدلية والأحمدية.

- وما في مكتبة الشيخ محمد الصادق النيفر.

- وما في مكتبة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور.

- وما في المغرب من نسخ متعددة.

- وما في القاهرة.

- وما في الاسكندرية.

وغير ذلك انظر كتاب العمر في التعليق (ج 2 ص 651).

العناية بالتهذيب:

ذكر بروكلمان في (تاريخ الأدب العربي (ج 3 ص 290) ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار) الشرح الصغير لابن ناجي والتحقيق أن لابن ناجي شرحين أحدهما الصغير، ويعرف بالصيفي في جزأين وهما في مكتبة الوالد رحمه الله والآن في مكتبة شقيقي المرحوم أحمد المهدي النيفر.

والثاني في أجزاء خمسة منه نسخة في أجزاء في مكتبة شقيقي وجاء في كتاب العمر ذكر نسخ متعددة (ق 2 ص 779) وذكر الوالد رحمه الله في (سلوة المخزون، في تتمة كشف الظنون) جملة ممّا يتعلق بتهذيب البراذعي.

وفاة البراذعي:

جاء في الترتيب أنه لفظته القيروان ولم يبلغني وقت وفاته.

وفي معالم الإيمان يقول ابن ناجي: وسياق ما تقدم أنه مات بصقلية، وكان شيخنا أبو الفضل المذكور - البرزلي - إذا زار بنا جبانة الشيخ أبي الحسن القابسي يقف بين قبرين عند رأس كل واحد منهما لوح فيه كتب خفي لا يجاز - لا يقرأ - ويدعو عندهما كغيرهما وقلت له: سياق كلام عياض يقتضي ان الغالب انه انما مات بصقلية فقال: ليس فيه تحقيق ولعلّه رجع إلى القيروان ولو زائرا ومات بها وما زلت أسمع أن قبره أحدهما.

وجاء في تاريخ التراث العربي لفؤاد سيزقين من المحتمل أنه كان يعيش سنة 430 هـ و1039 م وهذا لا يصح لأنه انتهى من تهذيبه سنة 372 هـ. فالمدة طويلة ولم يثبت أنه من المعمرين.

ووضع ترجمته القاضي عياض في طبقة رجال من توفوا أوائل القرن الخامس، وهي الطبقة الثامنة ومن رجالها الأفارقة أبو عمران الفاسي المتوفي سنة (ـ 430) ولعل هذا هو ما اغتربه فؤاد سيزقين، ولا يصح لأنه ربما أخره عن أبي عمران الفاسي لأنه لم يعرف تاريخ وفاته، فعلى هذا فوفاته في أوائل القرن الخامس.